شرح قصيدة

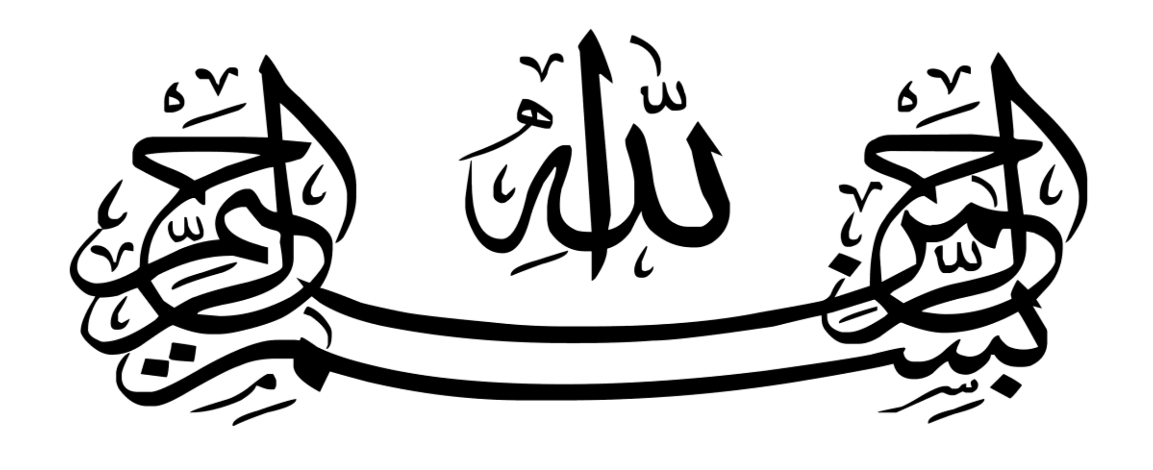
لَقَدْ كَانَ خَيْرُ الخَلْقِ

صلى الله عليه وآله وسلم

للشَيخ: محمَد بن سعيد ابن طوق المُرِي

تفريغ:

هَمْعُ: https://t.me/Ham3on


بسم الله الرحمن الرحيم

*نصّ قصيدة: "لقد كان خير الخلق" للشيخ أحمد زرّوق الفاسيّ المالكي (٨٩٩هـ) -رحمه الله- :

لَقَدْ كانَ خَيرُ الخَلْقِ أَبْهَرَ طَلْعةً	١	مِنَ البَدْرِ بَلْ مِنْ شَمْسِهِ هُوَ أَلْهَبُ
جَميلُ المُحَيَّا أَزْهَرُ اللَّونِ أَبْلَجُ	٢	بَهِيٌّ بَهيجُ الوَجْهِ أَبْيَضُ مُشْرَبُ
أَشَمُّ أَزَجُّ الحَاجِبَيْنِ مُفَلَّجٌ	٣	كَحِيلُ جُفونٍ أَدْعَجُ العَيْنِ أَهْدَبُ
مُدَوَّرُ وَجْهٍ أَنْوَرُ مُتَجَرِّدًا	٤	كأنَّ المَهَى في وَجْهِهِ ليسَ تَغْرُبُ
أَسِيلُ خُدُودٍ أَنْجَلُ كَثُّ لِحْيَةٍ	٥	طويلُ بَنانٍ واسِعُ الصَّدْرِ أَشْنَبُ
جَلِيلُ المُشَاشِ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ	٦	ضَلِيعُ فَمٍ ضَخْمُ الكَرادِيسِ قُلَّبُ
بَعِيدُ الذي بَيْنَ المَنَاكِبِ وَاسِعٌ	٧	جَبِينًا طَليقُ الوَجْهِ لَيْسَ يُقَطِّبُ
مُرَجَّلُ شَعْرٍ جَعْدُهُ رَحْبُ رَاحَةٍ	٨	سَواءُ الحَشَا وَالصَّدْرِ عَذْبٌ مُؤَدَّبُ
إذا افْتَرَّ رِيءَ النُّورُ مِنْ فِيهِ خَارِجًا	٩	كأنَّ ثَنايَاهُ بُروقٌ تَلَهَّبُ
حَكَى ثَغْرُهُ حَبَّ الغَمَامِ إذا بَدَا	❀	ذَكِيُّ الحِجَا سَبْطُ العِظامِ مُطَيَّبُ
قَوِيمُ القَنَاةِ لم يكن مُتَرَدِّدًا	١١	قَصِيرًا ولا هُوَ الطَّويلُ المُشَذَّبُ
ولَكِنْ وَسِيطًا رَبْعَةَ القَدِّ طَائِلًا	١٢	مُمَاشِيَهُ ولَوْ إلى الطُّولِ يُنْسَبُ
طَويلُ سُكُوتٍ سَالِمٌ صَدْرُهُ دَقِيـ	١٣	ـقُ مَسْرُبَةٍ أَقْنَى وَجِيهٌ مُرَجَّبُ
وقد وَسِعَ الأَقْوامَ حِلْمًا وَبَسْطَةً	١٤	وصَارُوا سَوَاءً فِيهِ وهْوَ لَهُمْ أَبُ
مَهِيبٌ إذا لاقَيْتَهُ عَنْ بَدِيهَةٍ	١٥	وإمَّا تُخَالِطْهُ فَخُلْقٌ مُحَبَّبُ
أَشَدُّ مِنَ العَذْرَا حَياءً بِخِدْرِها	١٦	كَريمُ السَّجَايَا لِلرَّدِي مُتَجَنِّبُ
يَزُولُ تَقَلُّعًا ويَخْطُو تَكَفُّؤًا	١٧	ويَمْشِي الهُوَيْنَى دَائِمُ البِشْرِ طَيِّبُ
فَدُونَكَ مِنْ أَوْصافِهِ الغُرِّ جُمْلَةً	١٨	تَضَمَّنَهَا نَظْمِي بِهَا الدَّهْرَ يَعْذُبُ
أَأَحْمَدُ هذا أَحْمَدٌ مُتَوَسِّلًا	١٩	بِمَدْحِكَ والأَجْوادُ بالمَدْحِ تُطْلَبُ
مَدَحْتُكَ يا خَيْرَ الأَنامِ ولَمْ تَكُنْ	❀	لِمَدْحِي فقيرًا بَلْ أنا المُتَكَسِّبُ
لَئِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحْسِنُ المَدْحَ ثُمَّ لَمْ	٢١	أَقُلْهُ -وَفِيكَ- إنَّنِي لَمُخَيَّبُ
فَمَدْحُكَ بالنَّظْمِ المُجَوَّدِ حَوْكُهُ	٢٢	زَكَاةٌ على أَهْلِ القَصَائِدِ تُوجَبُ
عَلَيْكَ صَلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ	٢٣	وآلِكَ والأَصْحابِ مَا ذَرَّ كَوْكَبُ
عَلَيْكَ مِنَ المَوْلى المُهَيْمِنِ رَبِّنا	٢٤	سَلامانِ مَا نَاحَ الحَمامُ المُطَرِّبُ

مقدمة الشَّارح

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنسأل الله أن يجزيَ عنَّا نبيّنا محمد ﷺ أفضل ما جزى نبيًّا عن أمّته، ونسأله أن يُحيينا على سنّته، وأن يُميتنا على ملّته، وأن يحشرنا تحت لوائه، وأن يبعثنا في زمرته، وأن يسقينا من حوضه شربةً لا نظمأ بعدها أبدا.

ونُشهد الله أنه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عنّا خير ما جزى نبيًا عن أمته، ورسولًا عمّن أُرسل إليه.

قيل لبعض العلماء: **"شوّقنا إلى الجنّة..! فقال: فيها رسول الله ﷺ"**.

تَغَرْغُر القلب بمحبة النّبي ﷺ والشوق إليه من أخصّ صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وقد قال النّبي ﷺ: **«من أشدِّ أمّتي لي حُبًّا، ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله»** [أخرجه مسلم](١). **يعني**: يودُّ لو يُقدِّم أهله وماله في سبيل رؤيته ﷺ لشدّة محبته وشوقه.

ومحبّة النّبي ﷺ فريضة افترضها الله على عباده، وهي شرطٌ في الإيمان، قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»** [متفق عليه](٢).

وقوله **"والناس أجمعين"**: تدخل فيها نفسك، كما في حديث عمر رضي الله عنه فعن عبدالله بن هشام رضي الله عنه أنه قال: ((**كنّا مع النّبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسي. فقال النّبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال له النّبي ﷺ: «الآن يا عمر»**)) [أخرجه البخاري](٣). **والمعنى**: الآن عرفتَ فنطقتَ بما يجب.

---

(١) برقم: (٢٨٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري: (١٥)، ومسلم: (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) برقم: (٦٦٣٢).

وكيف لا نحبُّه ﷺ وما من خيرٍ إلا دلّنا عليه، وما من شرٍّ إلا حذّرنا منه، وقال ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم»[1]، وإذا كان الربُّ جل جلاله يحبُّه؛ فكيف لا يحبُّه العباد جميعا!

زكّى الله تعالى نبيَّه في كتابه في بصره، فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم:١٧].

وزكاه في لسانه، فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣﴾ [النجم:٣].

وزكاه في عقله، فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في قلبه، فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: ١١].

وزكاه في معلِّمه، فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ٥].

وزكاه في صدره، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١﴾ [الشرح: ١].

في طهره: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٢﴾ [الشرح: ٢].

في ذِكره: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤﴾ [الشرح: ٤].

زكاه في رأفته ورحمته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

زكاه كلّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤].

بل ما نادى ربُّنا في القرآن نبيَّنا ﷺ باسمه (محمّد) بياء النِّداء، مع أنك تجد أنه تعالى نادى كثيرًا من الأنبياء بأسمائهم:

﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ﴾ [هود: ٤٨].

﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥].

﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ﴾ [مريم: ٧].

﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

---

(١) أخرجه أبو داود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (٨).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

أما نبيُّنا ﷺ فقال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة: ٤١].

وناداه بوصفه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾ [المزمل: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر: ١ – ٢].

وعند ذكره باسمه مجرَّدًا يقرنه غالبًا بصفة الرسالة:

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في محبته ﷺ؛ فهذا طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه كان يردُّ النَّبل بيده عن رسول الله ﷺ ، فعن قيس بن أبي حازم أنه قال: **((رأيت يَدَ طلحة التي وَقَى بها النّبي ﷺ قد شَلَّت))** [رواه البخاري][(١)].

وكانوا رضي الله عنهم إذا تكلم أطرقوا كأن على رؤوسهم الطير –وهذه كناية عن السُّكون لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن– وفي البخاري[(٢)] في قصة الصُّلح: **((..فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قومِ، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قطُّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ ﷺ محمدًا، والله إن تنخّم نُخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ**

(١) برقم: (٣٧٢٤).

(٢) برقم: (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

منهم فدَلَك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وَضوئِه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون إليه النّظر؛ تعظيمًا له..)) .

وفي دلائل النُّبـوّة[١] في قصة الصُّلح لمّا احتبَس عثمان ﷺ في مكة: **((..فرجع إليهم عثمان، فقال المسلمون: "اشْتَفَيْتَ يا أبا عبدالله من الطواف بالبيت؟" فقال عثمان: "بئس ما ظننتم بي، فوَالذي نفسي بيده لو مكثت بها مقيمًا سنةً ورسول الله ﷺ مقيمٌ بالحديبية؛ ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله ﷺ، ولقد دعتني قريش إلى الطواف بالبيت فأَبَيْتُ"))**.

وفي الأدب المفرد[٢] عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه بعد وفاة النّبي ﷺ قال: **((قام رسول الله ﷺ عام أولٍ مقامي هذا ثم بكى أبو بكر ﷺ لتذكُّره مقام النّبي ﷺ))**.

وفي سيرة ابن اسحاق عن سعد ابن أبي وقاص ﷺ أنه قال: **((مرَّ رسول الله ﷺ -يعني بعد أُحد- بامرأة من بني دينار، وقد أُصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلمّا نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أمَّ فلان، هو بحمد الله كما تُحبين. قالت: أَروِنيه حتى أنظر إليه. قال: فأُشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: "كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ"))**[٣] تُريد صغيرة.

وأنس ﷺ يقول: **((ما مِنْ ليلةٍ إلّا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ))** ثم يبكي[٤].

وفي الشِّفا عن زيد بن أسلم[٥] أنه قال: **((خرج عمر ﷺ ليلة يحرس -يعني في خلافته- فرأى مصباحًا في بيت عجوز تَنْفِش صوفًا وتقول: "على محمد صلاة الابرار * صلّى عليه الطيِّبون الاخيار * قد كنتَ قوّامًا بُكًا بالاسحار * يا ليت شعري والمنايا أطوار * هل تجمعنِّي وحبيبي الدّار**

---

(١) للبيهقي، من حديث عروة بن الزبير: ٤/ ١٣٣.
(٢) برقم: (٧٢٤).
(٣) أخرجه الطبري في تاريخه: ٢/ ٥٣٣.
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٠، وأحمد في مسنده بنحوه: (١٣٢٦٧).
(٥) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، بحاشية الشُمُنّي: ٢/ ٢٢.

-تعني النّبي ﷺ - فجلس عمر رضي الله عنه يبكي")). وفي رواية في تاريخ دمشق(١) أنه قال: أسألك أن تُدخليني معكما، فقالت: **"وعمر فاغفر له يا غفّار"**.

وهكذا كان من بعدهم، فعن عَبْدَة بنت خالد أنها قالت: "قلّما كان خالدٌ يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسمِّيهم ويقول: **"هم أصلي وفصلي وإليهم يحنُّ قلبي، طال شوقي إليهم حتى يغلبه النّوم وهو في بعض ذلك"**.

وفي الشِّفا للقاضي عياض(٢): "كان مالكٌ إذا ذُكر النّبي ﷺ أو ذَكره يتغيّر لونه، وينْحني حتى يصعُب ذلك على جلسائه، فقيل له يومًا في ذلك، فقال: **"لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون! لقد كنتُ أرى محمد بن المُنْكَدِر وكان سيِّد القرّاء لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكي حتى نرحمه. ولقد كنتُ أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدُّعابة؛ فإذا ذُكر عنده النّبي ﷺ اصفرَّ، وما رأيته يُحدِّث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة. ولقد كان عبدالرحمن بن القاسم يذكر النّبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نُزِف منه الدَّم، وقد جفّ لسانه في فمه؛ هيبةً منه لرسول الله ﷺ. ولقد كنتُ آتي عامر بن عبدالله بن الزبير فإذا ذُكر عنده النّبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع. ولقد رأيت الزُّهري، وكان من أَهْنَأ الناس وأقربهم؛ فإذا ذُكر عنده النّبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنتُ آتي صفوان بن سُليم، وكان من المتعبِّدين المجتهدين؛ فإذا ذكر النّبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه"**.

ولسان حال المُحبِّ الصادق:

بربِّك صِفْ شمائِلَهُ فإنِّي * أَحِنُّ إلى شمائِلِهِ الحِسانِ

وهذه المحبة ليست بالادِّعاء، وإنما هي المحبة الصادقة، التي تدعو إلى الاتِّباع، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) للحافظ ابن عساكر: ٤٤/ ٣١٣.
(٢) ٢/ ٤٢.

فهذه المحبة لها مقتضيات، منها: تصديقه ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألّا يُعبد الله إلا بما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ.

والشَّمَائِل: هي الأخلاق، والأوصاف، والآداب. **ومفردها**: شِمَال، والشِّمال: خليقة الرَّجل، وتُجمع على شمائل، قال لبيد ﵁:

هُمُ قَوْمي وقد أَنْكَرْتُ مِنْهُم * شَمَائِلَ بُدِّلُوها مِنْ شِمالِي

وقال آخر:

أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلامةَ نفعُها * قليلٌ وما لَوْمِي أخي مِنْ شِمَالِيَا

أي: ما لَوْمي أخي من طبعي وخُلُقي.

قال ابن مالك -رحمه الله- :

وبِفَعائِلَ اجْمَعَنْ فَعَالَه * وشِبْهَهُ ذا تاءٍ أو مُزالَه

وبفعائل اجمعن فعاله: سحابة: تُجمع على سحائب، رسالة: تجمع على رسائل -سواء كانت بفتح الفاء أو كسرها- .

وشبهه ذا تاء أو مزاله: أو مزالة التاء؛ شِمال: تُجمع على شَمائِل. يُقال: "رجلٌ كريم الشمائل" أي كريم الأخلاق والأوصاف.

ودراسة الشمائل لها فوائد عظيمة، منها:

*أنّ من الواجبات الإيمان به ﷺ، ولا شك أنك كلما ازدت معرفة به؛ ازدت إيمانًا به ﷺ.

*ومنها: أنّ محبته ﷺ فريضة، وكيف تُحب من لاتعرف؟! لا شك أنّ العبد كلما ازداد معرفة بمحبوبه، وذكرًا له، تضاعف حبه، وتزايد شوقه.

*ومنها: أنّ الائتساء المأمور به لا يتمُّ ولا يكمل إلا بمعرفته ﷺ، ومعرفة خصاله، وشمائله.

*ومنها: أننا أمرنا بالصّلاة والسّلام عليه ﷺ، وكلما ازْدَدت بصيرةً بشمائله ﷺ؛ ازدادت صلاتك عليه حُسْنا؛ لذلك كانت صلاة العارفين بشمائله غير صلاة العوام الذين حظُّهم منها رفع أصواتهم، وإزعاج أعضائهم، فصلاة العارفين به نوعٌ آخر كما يقول ابن القيم.

*ومنها: أنّ شمائله ﷺ منهج حياة لكل مسلم يرجو لنفسه الخير في الدنيا، فما أحوجنا إلى العودة الصادقة إلى هذه الشمائل المباركة، وألّا يُشغل النَّشء بأخبار الضائعين والضائعات، والتافهين والتافهات.

أخرج الخطيب البغدادي في الجامع[١] عن سُفْيان بن عُيَيْنة أنه كان يقول: **"إنّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر؛ فعليه تُعرض الأشياء؛ على خُلُقه، وسيرته، وهديه، فما وافقها فهو الحقّ، وما خالفها فهو الباطل"**.

*ومن فوائد دراسة الشمائل: التحقق من أنّ الذي رآه الرائي في المنام هو النّبي ﷺ، وقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما- ليزيد الفارسي لما أخبره أنه رأى النّبي ﷺ في المنام قال: **"هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في المنام؟ فنعته يزيد الفارسي.. فقال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا"**[٢].

وآخر بابٍ في كتاب شمائل النّبي ﷺ للترمذي: "باب ما جاء في رؤية الرَّسول ﷺ في المنام"، ومن أحسن ما صُنِّف في الشمائل؛ كتاب: [**شمائل النّبي ﷺ للترمذي**].

ولابن الجزري في ختم كتاب الشمائل:

أَخِلايَ إنْ شَطَّ الحَبيبُ ورَبْعُهُ ❊ وعَزَّ تَلاقيهِ ونَاءَتْ مَنازِلُه
وفاتَكُمُ أنْ تُبْصِرُوهُ بِعَيْنِكُم ❊ فما فاتُكُمْ بالسَّمْعِ هذي شمائلُه

وأحاديث الشمائل من أحاديث السِّيرة التي لا تُعامل معاملة أحاديث الحلال والحرام، العراقي -رحمه الله تعالى- في ألفيته في الحديث قال:

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (٨).
(٢) أخرجه أحمد: (٣٤١٠)، والترمذي في الشمائل: (٣٩٣).

وسهّلُوا في غيرِ موضوعٍ رَوَوا * من غيرِ تبيينٍ لضعفٍ ورَأَوا
بيَانَهُ في الحكمِ والعقائدِ * عنِ ابنِ مَهْديٍّ وغيرِ واحدِ

وغير واحد: من الأئمة؛ كأحمد، وابن معين، وابن المبارك، والسُّفْيانَيْن، وغيرهم من الأئمة الأكابر.

وقد قال ابن مهديٍّ -رحمه الله-: **"إذا روينا عن النّبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام؛ شدّدنا في الأسانيد، وانتقدنا الرِّجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب؛ سهّلنا في الأسانيد، وتسامحنا في الرِّجال"**[١].

وقال الإمام أحمد: **"ابن اسحاق رجلٌ تُكتب عنه هذه الأحاديث** -يعني المغازي ونحوها- **وإذا جاء الحلال والحرام؛ أردنا قومًا هكذا، وقبض أصابع يديه"**[٢].

وأحاديث الشمائل من أحاديث السِّيرة التي لا تُعامل معاملة أحاديث العقائد والحلال والحرام؛ لكن ليس معنى هذا ألّا تُمحّص هذه المرويات؛ ابن المبارك -رحمه الله- يقول: **"في صحيح الحديث ما يُغني عن سقيمه"**[٣].

***ومن الفوائد ههنا؛ أنّ الترمذي ختم كتاب الشمائل بأثرين:**

الأول: قول ابن المبارك: **"إذا ابتُليت بالقضاء؛ فعليك بالأثر"**[٤].

والثاني: قول ابن سيرين: **"هذا الحديث دين؛ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم"**[٥].

والغرض من هذا أن المسلم في دراسته للشمائل، ولدينه عمومًا؛ يجب أن يعتني بالآثار

---

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى علم السُّنن: (٨٠٨).
(٢) أخرجه ابن مَعِين في تاريخه -برواية الدوري- : (٢٣١).
(٣) أخرجه البيهقي في المدخل: (٧٠٨).
(٤) برقم: (٣٩٦).
(٥) برقم: (٣٩٧).

الصحيحة الثابتة.

ومحبّة النّبي ﷺ من أوجب الواجبات، وعلى العبد في هذا المقام أن يسلك سبيل أهل الاعتدال، وأن يحذر أن يدخله الخلل من جهتين:

الأولى: التفريط، ومن مظاهر التفريط: ضعف محبّته ﷺ، وعدم تعظيم سُنّته، والإعراض عن تعلُّم سيرته، والإقبال على البدع، وانتقاص أصحابه رضي الله عنهم، وعدم الصّلاة عليه إذا ذُكر ﷺ .

والجهة الثانية: الإفراط، ومن مظاهر الإفراط: الغلوُّ والإطراء، وإضافة أوصاف الرُّبوبيَّة إليه ﷺ .

والمقصود أنّ هذا الشوق والمحبة ينبغي أن يكون وراءها عملٌ جادٌّ في معرفة هديه، وآدابه، وأخلاقه، ليُتأسّى به ﷺ فيها، وفي الحديث عند الترمذي[١]: «إن من أحبِّكم إليَّ، وأقرَبِكم منِّي مجلسًا يوم القيامة أحاسِنَكم أخلاقًا..».

وهذه مدارسة لقصيدة الشيخ: **أبي العبّاس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسيّ الفقيه المعروف بزَرُّوق، المتوفى سنة: ٨٩٩هـ**. وهي تقع في أربعة وعشرين بيتًا من بحر الطّويل، أولها قوله:

لقد كان خيرُ الخَلْقِ أَبْهَرَ طَلْعةً * مِنَ البدرِ بل مِنْ شَمْسِهِ هُوَ أَلْهَبُ

وعُرفت بقصيدة: [لقد كان خير الخلق].

(١) برقم: (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

شرح الأبيات:

١-لَقَدْ كانَ خَيرُ الخَلْقِ أَبْهَرَ طَلْعةً * مِنَ البَدْرِ بل مِنْ شَمْسِهِ هُوَ أَلْهَبُ

قال -رحمه الله-:

لقد كان: أي ولم يزل. خير الخلق: نبيُّنا ﷺ فهو أفضل الخلق نفسًا ونسبًا. أبهر طلعةً: أي أنور وأحسن، يُقال: "بَهَرَ القمرُ" إذا أضاء حتى غلب ضوؤه ضوء النُّجوم. والطَّلعة: الرُّؤية. من البدر: أي من القمر ليلة تمامه.

وقد أخرج الترمذي في الشمائل عن جابر بن سَمُرة -رضي الله عنهما-(١) أنه قال: **((رأيت رسول الله ﷺ في ليلةٍ إضْحِيَانٍ، وعليه حُلَّةٌ حمراء؛ فجعلتُ أنظر إليه وإلى القمر، فَلَهُوَ عندي أحسن من القمر))**. **إضحيان**: أي مُقمِرة، طالع فيها القمر.

وفي الصحيح عن أبي اسحاق(٢) قال: **((سُئل البراء: أكان وجه النّبي ﷺ مثل السَّيف؟))** -يعني في البريق واللمعان والصَّقالة- **((قال: لا، بل مثل القمر))**. يعني الذي هو فوق السيف في الإشراق إلى جانب الاستدارة في جمال.

ألهب: أي أشد تَوَقُّدًا وجمالًا من الشمس، والشمس يُشبَّه بها غالبًا في الإشراق والضياء والرِّفعة، والقمر؛ في الملاحة والحُسن.

وفي الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه(٣) أنه قال: **((كان رسول الله ﷺ أزهر اللون))**.

وفي الشمائل للترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه(٤) أنه قال: **((ما رأيت شيئًا أحسنَ من رسول الله ﷺ؛ كأنّ الشمس تجري في وجهه))**.

---

(١) برقم: (٩).

(٢) برقم: (٣٥٥٢)، ولمسلم نحوه، من حديث جابر بن سمرة -رضي الله عنهما- : (٢٣٤٤).

(٣) البخاري: (٣٥٧٤)، ومسلم: (٢٣٣٥) واللفظ له.

(٤) برقم: (١١٦).

وعند الدارمي، والطبراني في معجمه الكبير، والأوسط[1]: عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، قال: قلت للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ ابن عَفْراء: ((**صِفِي لنا رسولَ الله ﷺ فقالت: "يا بُنَيَّ لو رأيتَهُ، رأيتَ الشَّمسَ طالعةً"**)).

وهذه التشبيهات الواردة في حقِّه ﷺ بنحو البدر والشمس؛ إنما المقصود بها التقريب، وإلا فهو أَجْلى، وأعلى، وأحلى، والشأن كما قال أبو نواس:

تَتِيهُ الشمسُ والقمرُ المنيرُ * إذا قُلنَا كأَنَّهُما الأميرُ

والمقصود بالتشبيه التقريب، بمعنى أنّ الشيء قد يُشبّه بما هو أقلُّ منه؛ إذا كان المُشبَّه به أبلغ ما يعرفه الناس، ولأبي تمام قصيدة يمدح بها أحمد بن المُعتصم، يقول فيها:

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ * في حِلْمِ أَحْنَفَ في ذكاءِ إياسِ

فلما قال هذا البيت، قال له بعض من حضر -وكان يخدم أحمد بن المعتصم- قال: "الأمير أكبر في كلِّ شيء مما شبهته به" فأطرق أبو تمام، وعمل بيتين زادهما -على البديهة والارتجال- في القصيدة في وقته، قال:

لا تُنكِروا ضَرْبِي لهُ مَنْ دُونَهُ * مَثَلًا شَرودًا في النَّدى والبَاسِ
فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ * مَثَلًا مِنَ المِشْكاةِ والنِّبراسِ

فعجب أحمد وجميع من حضره من فطنته، وذكائه!

يقول: لا تُنكروا قولي إن إقدامه كإقدام عمرو؛ وهو أشجع منه، وإنّ سماحته كسماحة حاتم؛ وهو أكرم منه، وإن حِلْمه كحِلْم الأحنف؛ وهو أحلم منه، وإن ذكاءه كذكاء إياس؛ وهو أذكى منه؛ لأن الله تعالى قد شبّه نوره بما هو أقل منه، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ

(١) في سنن الدارمي: (٦١)، وفي المعجم الكبير: (٦٩٦)، وفي الأوسط: (٤٤٥٨).

﴿كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور:٣٥]. **المشكاة**: الكُوَّة التي تكون في الحائط ليست بنافذة. **والمصباح**: معروف؛ فالمقصود بهذا المثل التقريب.

٢-جَميلُ المُحَيَّا أَزْهَرُ اللَّونِ أَبْلَجٌ * بَهِيٌّ بَهِيجُ الوَجْهِ أَبْيَضُ مُشْرَبُ

جميل المحيّا: أي جميل الوجه. كان النّبي ﷺ أحسن النّاس وجهًا، وفي حديث هند بن أبي هالة ﷺ: ((**كان رسول الله فَخْمًا مُفَخَّمًا يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر**)). الحديث أخرجه الترمذي في الشمائل[(١)]. وقد سبق أنّ طريقة الأئمة التسامح في نقل الأحاديث التي في إسنادها كلام في غير الأحكام والعقائد؛ وهذا منه. وقد قال العراقي رحمه الله في ألفية السِّيرة:

ولْيعلمِ الطالبُ أنَّ السّيَرَا * تَجمَعُ ما صحَّ وما قدْ أُنْكِرَا
والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السّيَرْ * بِهِ، وإنْ إسنادُهُ لمْ يُعْتَبَرْ
فإنْ يكنْ قدْ صحَّ غيرُ ما ذُكِرْ * ذكرتُ ما قد صحَّ منه واسْتُطِرِ

وقد قال في الاستيعاب[(٢)] رُوِّينا عن عائشة -رضي الله عنها- أنها وصفت رسول الله ﷺ فقالت: **كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت** ﷺ:

متى يَبْدُ في الدَّاجِي البَهيمِ جَبِينُهُ * يَلُحْ مِثلَ مِصْباحِ الدُّجى المُتوَقِّدِ
فَمَنْ كانَ أو مَنْ قد يكونُ كأحمدٍ * نِظامٌ لِحَقٍ أو نَكَالٌ لِمُلْحِدِ

وفي حديث كعب بن مالك ﷺ في الصحيحين[(٣)] -في قصة توبة الله عليه- قال: ((**وكان رسول الله ﷺ**

(١) برقم: (٧).
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٣٤١.
(٣) البخاري: برقم (٣٥٥٦)، ومسلم: برقم (٢٧٦٩).

إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنّه قطعة قمر، قال: وكنّا نعرف ذلك منه..)).

أزهر اللون: ورد هذا الوصف في الصحيحين من حديث أنس ﷺ : ((**أنّ النّبي ﷺ كان أزهر اللون**)). أي أبيض مشربًا بِحُمْرَة، يعلوه إشراقٌ ولمعان. وتتِمَّة الحديث عند البخاري[١] تُبيّن هذا، قال: ((**أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم**)). **الأمهق**: خالص البياض. **والآدم**: شديد السُّمْرَة.

أبلج: ورد هذا في حديث عليّ ﷺ: ((**أنّ النّبي ﷺ كان أبلج**))[٢]. والمقصود: أنه كان بين حاجِبَيْهِ فُرْجة بيضاء دقيقة. يُقال: بَلَجَ الصُّبح؛ إذا أضاء وأشرق. فهو ﷺ بين حاجبيه بُلْجَة؛ أي فُرْجةٌ دقيقة. وورد في هذا حديث هند ﷺ قال: ((**أَزَجُّ الحواجب، سوابغ في غير قَرَن**)). أي غير مُقترنة، فبين حاجبيه فُرجة دقيقة.

لكن ورد في حديث أُمِّ مَعْبَد –رضي الله عنها– : ((**أَزَجُّ أَقْرَن**))[٣]. **الأقرن**: هو المُتصل الحاجبين. وقد جُمِع بينهما بأنه كان بين حاجبيه فُرْجةٌ دقيقة لا تبين إلا لمُتأمِّل. فهو غير أقرن في الواقع، وإن كان أقرن حسب الظاهر عند من لم يتأمّله؛ لأن حاجبيه سبَغَا حتى كادا يلتقيان.

بهيٌّ: البهيّ هو الذي يملأ العين حُسنه. بهيج الوجه: أي: حَسَنُه؛ البهجة: الحُسْن.

أبيض مشرب: أي مشربٌ حُمْرَة؛ من الإشراب: وهو خلط لونٍ بآخر. وهذا لفظ حديث عليّ ﷺ في الشمائل[٤]: ((**أبيض مشرب**)). وعنه عند ابن حبّان[٥]: ((**أن النّبي ﷺ كان أبيض مُشْرَبًا حُمْرة**)). وهذا معنى وصفه ﷺ أنه كان أزهر اللون كما في حديث أنس في الصحيحين.

وفي صحيح مسلم[٦] عن الجُرَيْرِيّ عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ﷺ أنه قال: ((**رأيت رسول الله ﷺ**

---

(١) برقم: (٣٥٤٧).
(٢) أخرجه أحمد: (١٣٠٠).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤٢٧٤).
(٤) برقم: (٦).
(٥) برقم: (٦٣١١).
(٦) برقم: (٢٣٤٠).

وما على وجه الأرض رجلٌ رآه غيري. قال الجُرَيري: فقلت: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مَلِيحًا مُقَصَّدًا)). والمقصّد: الوسط، يعني ليس بجسيم ولا نحيفٍ، ولا طويلٍ ولا قصيرٍ.

قوله: **"وما على الأرض رجلٌ رآه غيري"**: لأنه آخر من مات من الصحابة.

آخِرُ مَنْ ماتَ مِنْ الأَصْحَابِ لَهْ * أبو الطُّفيــلُ عامــرُ بن واثِلَـــهْ

٣-أَشَــــمُّ أَزَجُّ الحَــاجِبَيْنِ مُفَلَّـــجٌ * كَحِيلُ جُفُونٍ أَدْعَجُ العَيْنِ أَهْدَبُ

أشمّ: الشَّمَمُ؛ ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه، وإشراف الأَرْنَبَة قليلًا. وقد ورد هذا في حديث هند بن أبي هالة ﷺ، ولفظه: ((**أَقْنَى العِرْنين، له نورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ**)). **والقَنَى**: هو احْدِيدَابُ قصبة الأنف مع نزول الأرنبة مما يلي الفم. فَقَنَاه ﷺ كان خفيفًا، فهو في الحقيقة غير أشمّ، وإنما موجب ظنّ كونه أشمّ؛ عدم التأمُّل فهو ﷺ أقنى. والقنى منزلة بين الفَطَسِ والشَّمَم. **والفطس**: شدَّة احديداب قصبة الأنف. **والشمم**: ارتفاع قصبة الأنف. **والقنى**: بينهما، وهو الذي وصفه به هند بن أبي هالة ﷺ، قال: ((**أقنى العرنين**)).

أزجّ: الزَّجَجُ: دِقَّةُ شعر الحاجبين مع طوله واستوائه. في حديث هند بن أبي هالة ﷺ، قال: ((**أَزَجُّ الحواجب، سَوابِغ في غير قَرَن**)). وورد هذا في حديث أمِّ معبد –رضي الله عنها-: ((**أزجُّ أَقْرَنُ**)).

مُفَلَّجٌ: المقصود بالفَلَج هنا؛ الفُرْجَةُ بين الثَّنيَّتين. في حديث هند بن أبي هالة ﷺ: ((**مُفَلَّجُ الأسنان**)). وفي حديث ابن عباس –رضي الله عنهما- عند الترمذي في الشمائل[١]: ((**كان رسول الله ﷺ أَفْلَجَ الثَّنيَّتين، إذا تكلَّم رُؤيَ كالنُّور يخرج من بين ثناياه**)). قال بعضهم: المراد بالثَّنيَّتين؛ العُلْيَان دون السُّفْلَيَين؛ لأن المدح خاصٌّ بفلج العُلْيَين.

كحيل جفون: أي كَحِيلُ مواضع الكُحْل، والمعنى: أنه يعلو جفون عينيه سوادٌ مثل الكحل من غير

---

(١) برقم: (١٤).

اكتحال. وفي الشمائل للترمذي[١] عن جابر بن سَمُرَة -رضي الله عنهما- أنه قال: ((**كنت إذا نظرت إليه قلت: أَكْحَل العَيْنَيْنِ، وليس بأكحل**)). المقصود: أنه ﷺ كان هكذا خِلْقَةً من غير اكتحال. وفي الشمائل للترمذي[٢] عن يزيد الفارسي -وكان يكتب المصاحف-: أنه رأى النّبي ﷺ في المنام، فأخبر ابن عباس رضي الله عنه فقال له: هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم؟ فنعته، وفيه قوله: ((**أكحل العينين**)). فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما- بعد وصفه: **"لو رأيته في اليقظة؛ ما استطعت تنعته فوق هذا"**.

أدعج العين: الدَّعَجُ؛ شدة سواد حدقة العين، وشدة بياض البياض مع السَّعة. في حديث علي رضي الله عنه في الشمائل، قال: ((**أَدْعَجُ العينين**)).

أهدب: الأَهْدَبُ؛ هو طويل شعر أَشْفَار العين. **والأشفار**: جمع شُفْر، والشُّفْرُ: حَرْفُ الجَفْنِ الذي تنبت عليه الأهداب. ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في مسند الإمام أحمد[٣]: ((**أنّ النّبي ﷺ كان أهدب أشفار العينين**)). وعنه أنه ربما حدَّث عن النّبي ﷺ فيقول رضي الله عنه: **"حدَّثنيه أَهْدَبُ الشُّفْرَيْن"** أخرجه البخاري في الأدب المفرد[٤]. وطول شعر الأشفار مع الانعطاف هو المُسمَّى **بالوَطَف** الذي جاء في وصف أمِّ معبد -رضي الله عنها- قالت: ((**وفي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ**)). أخرجه الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك[٥].

٤-مُدَوَّرُ وَجْـــهٍ أَنْــوَرُ مُتَجَـرِّدًا * كأنَّ المَهَى في وَجْهِهِ ليس تَغْرُبُ

مدوَّر وجه: أي كان في وجهه ﷺ تدوير، كما في حديث عليّ رضي الله عنه عند الترمذي في الشمائل: ((**ولم يكن بالمُطَهَّم، ولا بالمُكَلْثَمِ، وكان في وجهه تَدْوِيرٌ**)). **المطهَّم**: البَادِنُ الكثير اللحم، وقيل: المُنْتَفِخُ

---

(١) برقم: (٢١٦).
(٢) برقم: (٣٩٣).
(٣) برقم: (٨٣٥٢).
(٤) برقم: (٢٥٥).
(٥) المعجم الكبير: (٣٦٠٥)، والمستدرك: (٤٢٧٤).

الوجه، فلم يكن ﷺ كذلك. **والمكلثم**: تامُّ استدارة الوجه. لم يكن ﷺ كذلك. **وكان في وجهه تدوير**: يعني لم يكن تامَّ استدارة الوجه، وشديد استدارة الوجه؛ وإنما كان في وجهه بعض تدوير. وعلى هذا يُحمل قوله: "مُدوَّر وجه".

أنور متجرَّدا: أنور: مُشْرِق. أي مُشْرِق العُضو العاري عن الثوب. في حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه: ((**أنور المُتَجَرَّد**)). ورد بفتح الرَّاء المُشَدَّدة، وبكسرها. ومآلهما إلى معنًى واحد، وهو مشرق العضو العاري عن الثوب. **أنور المتجرَّد**: أي موضع التجرُّد من الثوب. أو **المتجرِّد**: أي العضو المتجرِّد.

كأنَّ المهى في وجهه: المهى: جمع مَهَاةٍ، وهي الشمس. كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمسًا، كما قالوا في المَفْرِق: مَفَارِق. يُقال: شابَت مفارقه، وللإنسان مفرقٌ واحد.

ليس تغرب: ليست تغيب بل هي طالعة فيه أبدا. قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((**ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ كأنَّ الشمس تجري في وجهه**))[١]. وقالت الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذ ابن عفراء –رضي الله عنها- : ((**لو رأيته رأيت الشمس طالعة**)). وفي هذا قال الشيخ عبدالله السَّالم في نظمه في الشمائل:

يُزْرِي بَهَاءُ وَجْهِهِ الحُسَّانِ * بِالبَدْرِ في لَيْلَةِ اضْحِيَانِ
بَلْ لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ الشَّمْسَا * طَالِعَةً فَطِبْتَ عَنْهَا نَفْسًا

٥- أَسِيلُ خُدُودٍ أَنْجَلُ كَثُّ لِحْيَةٍ * طويلُ بَنانٍ واسِعُ الصَّدْرِ أَشْنَبُ

أسيل خدود: هنا وضع الجمع مَوضِع التثنية؛ الأصل أسيل الخدَّين، ومنه في القرآن: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]. وهما قلبان. **والأَسَالة في الخَدِّ**: هي الاستطالة، وألَّا يكون مرتفع الوَجْنَة. وقد جاء هذا الوصف في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البيهقي[٢] أنه قال: ((**أسيل الخَدَّين**)).

---

(١) أخرجه أحمد: (٨٩٤٣)، والترمذي في الشمائل: (١١٦).

(٢) دلائل النبوة: ص٢٧٥. في هذه النسخة: ((أسيل الجبين))، وفي الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: ((أسيل الخدين)) [١٤/٢٢٠].

وفي حديث هند بن أبي هالة ﵁: ((**سهل الخدَّين**)). وهو بمعنى الأول، أنهما قليلا اللَّحم.

أنجل: الأَنْجَل؛ واسع العينين حَسَنُهما.

كثُّ لحية: أي كثير شعرها. في حديث عليّ ﵁: ((**عظيم اللِّحية**)) أخرجه أحمد وابن حبّان[١]. وفي صحيح البخاري[٢] عن أبي مَعْمَر أنه قال: ((**قلنا لخبَّاب ﵁: أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟ قال: نعم. قال: قلنا: بِمَ كنتم تعرفون ذلك؟ قال: باضطراب لحيته**)). وفي خبر يزيد الفارسي أنه أخبر ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه رأى النّبي ﷺ في النوم، فقال له: هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم؟ فنعته يزيد بأوصاف منها قوله: ((**ملأت لحيته ما بين هذه وهذه، قد ملأت نَحْرَه**)). **ملأت لحيته ما بين هذه وهذه**: يعني الأُذُنين. **قد ملأت نَحْره**: المقصود العُنُق، وهذه إشارة إلى طولها.

وقد أمر النّبي ﷺ بهذا فقال: ((**أَعْفوا اللِّحى**)) كما في الصحيحين[٣]. ((**وَفِّرُوا اللِّحَى**)) كما في البخاري[٤]. ((**أَوْفُوا اللِّحى**)) كما في مسلم[٥]. ((**أَرْخُوا اللِّحى**)) كما في مسلم[٦] أيضًا.

طويل بنان: في حديث هند بن أبي هالة ﵁ عند الترمذي في الشمائل أنه قال: ((**سَائِلُ الأَطْراف**)) أو قال: ((**شائلُ الأطراف**)) –على الشك– ومعناه ما ذكره الناظم هنا: أنه طويل الأصابع، وطولها مما يُتَمَدَّحُ به. وعلى الرِّواية الأخرى ((**شائلُ الأطراف**)): الشَّوْلُ؛ الارتفاع، ومعناه يؤول إلى الطول.

واسع الصَّدر: أي عريضه. في الصحيحين[٧] من حديث البراء ﵁: ((**بعيد ما بين المَنْكِبَيْن**)). وفي حديث هند بن أبي هالة ﵁: ((**عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين**)). وهو ﷺ واسع الصدر

---

(١) مسند أحمد: (٩٤٤)، صحيح ابن حبان: (٦٣١١).

(٢) برقم: (٧٤٦).

(٣) البخاري: (٥٨٩٣)، مسلم: (٢٥٩).

(٤) برقم: (٥٨٩٢).

(٥) برقم: (٢٥٩).

(٦) برقم: (٢٦٠).

(٧) البخاري: (٣٥٥١)، مسلم: (٢٣٣٧).

حِسًّا ومعنًى، كما قال عليٌّ ﷺ في الشمائل: ((**قد وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ، وخُلُقُه؛ فصار لهم أَبًا**)).

أشنب: الشَّنَبُ؛ بَرْدٌ، ورِقَّةٌ، وعُذُوبَة في الأسنان. ورد هذا في حديث هند بن أبي هالة ﷺ، أخرجه الطبراني في الكبير[١].

٦-جَلِيلُ المُشَاشِ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ * ضَلِيعُ فَمٍ ضَخْمُ الكَرادِيسِ قُلَّبُ

جليل: عظيم. المشاش: رؤوس العظام. أي عظيم رؤوس العظام؛ كالمَنْكِبينِ، والمِرْفَقَيْنِ، والرُّكْبَتَيْن.

بادن متماسك: جاء هذا في حديث هند بن أبي هالة ﷺ أنه قال: ((**مُعْتَدِلُ الخَلْقِ، بادِنٌ مُتَمَاسِكٌ، سَواءُ البَطْنِ والصَّدْرِ**)). وعند البيهقي في دلائل النُّبوة[٢] أنه ﷺ كان: ((**ضَرْب اللَّحْم**)) أي قليله. وهذا ممّا يُتَمدَّحُ به، قال طَرَفَة:

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفونَه * خَشاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ

ويُجمع بين وصفه بأنه بادِن، وبأنه ضَرْب اللحم؛ أنه إذا قيل بادن: فالمقصود عدم النُّحُولَة والهُزال، وإذا قيل ضرب: فالمقصود عدم السِّمَن التَّام؛ لذا قال: بادن متماسك أي ليس بمُسْتَرْخٍ؛ بل يُمْسِك بعضه بعضًا، فهو معتدل الخَلْق ﷺ كأن أعضاءه يُمْسِك بعضها بعضًا؛ لقوَّتها وعدم استرخائها.

ضليع فمٍ: أي عظيمه وواسعه. في صحيح مسلم[٣] من حديث جابر بن سَمُرَة -رضي الله عنهما- قال: قال: ((**كان رسول الله ﷺ ضليع الفَم**)). والعرب تتمدَّح بسعة الفَمِ، وتذمُّ ضيقه.

ضخم الكراديس: أي عظيم الأعضاء، وهذا يدل على نجابة صاحبه. **والكُرْدُوس**؛ كلُّ عظمَيْن الْتَقيَا

---

(١) برقم: (٤١٤).
(٢) ١/ ٢٧٠.
(٣) برقم: (٢٣٣٩).

في مَفْصِل؛ نحو الرُّكْبَتَيْن، والمَنْكِبَيْن، والوَرِكَيْن. في الشمائل للترمذي عن عليّ ﷺ أنه قال: ((ضَخْم الكَرادِيس)). وفي صحيح البخاري[١] عن أنس ﷺ أنه قال: ((كان النّبي ﷺ ضَخْمَ اليَدَيْنِ والقَدَمَيْن، حَسَنَ الوجه، لم أَرَ بعده ولا قبله مثله، وكان بَسِطَ الكَفَّيْن)). وفي حديث عليّ ﷺ عند ابن حبان: ((كان عظيم الهَامَة)). فهذه كلها تدلُّ على أنه ﷺ كان جَسِيمَ الأعضاء، وهذا يدلُّ على نجابة صاحبه.

قُلَّب: القُلَّب هو البصير بتقليب الأمور. فالمقصود أنه كان تامَّ العقل ﷺ، كامل تدبير الأمور.

٧-بَعِيدُ الذي بَيْنَ المَنَاكِبِ وَاسِعٌ * جَبِينًا طَلِيقُ الوَجْهِ لَيْسَ يُقَطِّبُ

بعيد المناكب: أي بعيد الذي بين المناكب، وُضِع الجمع هنا موضع التَّثْنِيَة. والمَنْكِب: هو مجتمع رأس الكَتِف والعَضُد. وقد جاء هذا في الصحيحين من حديث البراء ﷺ قال: ((بعيد ما بين المَنْكِبين)).

واسع جبينًا: أي واسعٌ جبينه، وهما جَبِينَان: عن يمين الجبهة وشمالها. ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٣]. أي جعل جانب جبهته على الأرض. جاء هذا في حديث هند بن أبي هالة ﷺ عند الترمذي في الشمائل قال: ((واسع الجَبِين)).

طليق الوجه: أي ضاحكه مُشْرِقُه. قال عليّ ﷺ: ((كان رسول الله ﷺ دائم البِّشْر، سَهْلَ الخُلُق))[٢]. والبِّشْر: هو البَشَاشَة، وطلاقة الوجه التي ذكرها النَّاظِم هنا.

ليس يُقَطِّب: يقال: قَطَّبَ إذا قبض ما بين عَيْنَيْه. وفي الشمائل[٣] عن عليّ ﷺ أنه قال: ((يَحْذَرُ النَّاسَ ويَحْتَرِسُ منهم، من غير أن يَطْوِيَ عن أحدٍ منهم بِشْرَهُ وخُلُقَهُ)). فكان ﷺ دائم البشر، طليق الوجه.

---

(١) برقم: (٥٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل: (٣٣٤).

(٣) برقم: (٣١٩).

٨-مُرَجَّلُ شَعْرٍ جَعْدُهُ رَحْبُ رَاحَةٍ * سَوَاءُ الحَشَا وَالصَّدْرِ عَذْبٌ مُؤَدَّبُ

مرجل شعر: أي في شعره تَرْجيل؛ أي تَثَنٍّ قليل. جعده: أي فيه جُعُودَة وعدم اسْتِرْسَال. وقد جاء في الصحيحين(١) من حديث أنس ﷺ أنه قال: ((**وليس بالجَعْدِ القَطَطِ، ولا بالسَّبِطِ**)). وفي المسند(٢) من حديث أنس ﷺ قال: ((**رَجِلَ الشَّعر، ليس بالسَّبِط، ولا الجَعْدِ القَطَطْ**)). فليس شعره شديد الجُعُودَة، وليس موصوفًا بالسُّبُوطَة والاسترسال التام، بل كان بين ذلك.

رحب راحة: أي واسع الكَفِّ. **الراحة**: بطن الكفّ. وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ أنه قال: ((**وكان بَسِطَ الكَفَّيْن**)). وفي حديث هند بن أبي هالة ﷺ قال: ((**رَحْبُ الرَّاحة**)). واتِّساعُ الكَفَّ دليل الجود؛ فكان ﷺ واسع الكفِّ حِسًّا ومعنى.

سواء الحشا والصدر: الحشا؛ البطن. فهو معتدل الخلق ﷺ سواء البطن والصدر. كما ورد في حديث هند بن أبي هالة ﷺ عند الترمذي في الشمائل، قال: ((**معتدل الخَلْق، بادِنٌ متماسك، سواء البطن والصدر**)).

عذب مؤدَّب: عذب؛ أي حُلْوٌ. فهو أحسن الناس خُلُقًا، وأحسن الناس كلامًا ومعاشرة. كما قال عليّ ﷺ: ((**مَنْ خَالَطَه مَعْرِفةً أحبَّه**)).

مؤدَّب: كما رُوي عن النّبي ﷺ أنه قال: ((**أَدَّبَنِي رَبِّي فأحسَنَ تأديبي**)). وهذا الأثر معناه صحيح، وإن كان لا يُعرف له إسنادٌ ثابت. قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩]. هذا من تأديب الله لنبيِّه ﷺ، ويكفيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:٤].

٩-إذا افْتَرَّ رِيءَ النُّورُ مِنْ فيه خَارِجًا * كأنَّ ثَنَايَاهُ بُروقٌ تَلَهَّبُ

إذا افترَّ: يقال افترَّ الإنسان: إذا ضَحِك ضَحِكًا حسنًا. ريء: أُبْصِر. ثناياه: جمع ثَنِيَّة.

---

(١) البخاري: (٥٩٠٠)، مسلم: (٢٣٤٧).

(٢) برقم: (١٣٥١٩).

تلهَّب: أي تتلهَّب؛ حُذِفت إحدى التَّائين تخفيفًا. هو ينظم بهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما- : ((كان رسول الله ﷺ أفلج الثَّنيتين، إذا تكلَّم رُؤيَ كالنُّور يخرج من بين ثناياه)).

١٠-حَكَى ثَغْرُهُ حَبَّ الغَمامِ إذا بَدَا * ذَكِيُّ الحِجَا سَبْطُ العِظامِ مُطَيَّبُ

حكى ثغره: أي شَابَهَ فَمُه. حبَّ الغمام: الغمام؛ السَّحاب، وحبُّه ؛ بَرَدُه. قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: ((يَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغمام)). وفي دلائل النُّبوة للبيهقي[١]: ((وكان يتبسَّم عن مثل البَرَدِ المُنْحَدِرِ من متُون الغَمَامِ، وإذا افْتَرَّ ضاحكا؛ افْتَرَّ عن مثل سَنَا البَرْقِ إذا تلألأ)).

إذا بَدَا: فاعل بَدَا؛ الثَّغْر، إذا بدا ثغره شابه البَرَد الذي ينزل من الغمام.

ذكيُّ الحجا: أي تامُّ العقل والفطنة.

سبط العظام: السُّبوطة الامتداد. أي مُمتد العظام بلا تَعَقُّدٍ ولانُتُوءٍ.

مطيَّب: في الصحيحين[٢] من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: ((ما مَسِسْتُ حريرًا ولا ديباجًا؛ أَلْيَنَ من كَفِّ النَّبي ﷺ ولا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أو عَرْفًا قَطُّ أطيب من ريح أو عَرْفِ النَّبي ﷺ)). وفي صحيح مسلم[٣] عن جابر بن سمُرة –رضي الله عنهما- : ((أنه ﷺ مسح خَدَّه. قال جابر: فوجدت لِيَدِه بَرْدًا وريحًا كأنما أخرجها من جُؤْنَةِ عَطَّار)). الجؤنة ويقال جُونَة: هي التي يُعدُّ فيها الطِّيب ويُحْرَز.

١١-قَوِيمُ القَنَاةِ لم يكن مُتَرَدِّدًا * قَصِيرًا ولا هُوَ الطَّوِيلُ المُشَذَّبُ

قويم القناة: أي معتدل القامة. المتردِّد: فسَّره بالقصير، فهو الذي يتردَّد بعض خلقه على بعض من قِصَره. وقيل إنه قيل للقصير متردِّد: لأنه يتردَّد النَّاظر فيه، هل هو صَبيٌّ أو رجل، فلم يكن ﷺ متردِّدًا قصيرًا.

---

(١) ١/ ٢٩٨.

(٢) البخاري: (٣٥٦١)، مسلم: (٢٣٣٠).

(٣) برقم: (٢٣٢٩).

ولا هو الطويل المشذَّب: أي لم يكن بائن الطُّول. المشذَّب: هو البائن الطول في نحافة، وأصله النخلة الطويلة التي شُذِّب عنها جَرِيدُها؛ أي قُطِع لتطول. في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أنه قال: ((**ليس بالطويل البائن ولا بالقصير**)). وفي البخاري من حديث أنس ﷺ يصف النّبي ﷺ قال: ((**كان رَبْعةً من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير**)). ويمكن أن يؤخذ من رواية الصحيحين أنه إلى الطول أقرب؛ لأنه نفى أصل القِصَر، ولم يَنْفِ أصل الطول، وإنما نفى الطول البائن، وفي هذا إشعارٌ بأنه ﷺ كان إلى الطول أقرب، وقد جاء هذا مُصرَّحًا به في الأدب المُفرَد للبخاري[١] عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: ((**كان رَبْعةً وهو إلى الطُّول أقرب**)). وهذا كما سبق يُفهم من قول أنس ﷺ: ((**ليس بالطويل البائن ولا بالقصير**)). فنفى أصل القِصَر، ولم يَنْفِ أصل الطول، وإنما نفى الطول البائن، فدلَّ على إثبات الطول الذي ليس ببائن.

١٢-ولكن وَسِيطًا رَبْعَةَ القَدِّ طَائِلًا * مُمَاشِيَهُ ولو إلى الطُّولِ يُنْسَبُ

ولكن وسيطا: أي بين الطول البائن والقِصر. ربعة القدِّ: القدّ؛ القَدْرُ والقَامَة. فكان ربعة القدِّ؛ أي متوسطًا بين الطول والقصر.

طائلًا مماشيه ولو إلى الطول يُنسب: يعني إذا ماشاه أحد فإنه يطولُه ﷺ، ولو كان هذا المُماشي يُنسَبُ إلى الطول. عقد بهذا ما في دلائل النُّبوة للبيهقي[٢]: ((**وكان يُنْسب إلى الرَّبْعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يُماشِيه أحدٌ من الناس ينسب إلى الطول إلا طالَه رسول الله ﷺ، وربما اكْتَنَفَه الرجلان الطويلان فيطولُهما، فإذا فارقاه نُسِب رسول الله ﷺ إلى الرَّبْعَة**)). فكان إذا ماشاه أحدٌ من الناس يُنسب إلى الطول؛ يطولُه النّبي ﷺ. والمقصود هنا الحسُّ؛ ولذلك فرَّعوا عليه أن فيه تلويحًا بأنه كما أنه لا يتطاول أحدٌ على النّبي ﷺ معنًى ولا يعلوه في القدر؛ فكذلك لا يتطاول عليه حِسًّا.

---

(١) برقم: (١١٥٥).
(٢) ١/ ٢٩٨.

وهذا ورد في دلائل النُّبوة للبيهقي عن عائشة -رضي الله عنها- والبيهقي بيَّن أنه أَدْرَجَ فيه راويه -وليس بالمعروف- أدرج فيه بعض ألفاظه، فقد يكون هذا مما أُدرِج من الألفاظ. والحديث في الصحيحين؛ أنه كان ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، فهذا فيه أنه كان ﷺ رَبْعة إلى الطول أقرب.

١٣-طَوِيلُ سُكوتٍ سالمٌ صَدْرُهُ دَقِيـ * ـقُ مَسْرُبَـةٍ أَقْنَـى وَجِيـهٌ مُرَجَّـبُ

طويل سكوت: أي صَمْت. وقد قال ﷺ كما في الصحيحين[١]: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليصمُت**)). وفي شمائل الترمذي عن هند بن أبي هالة ﷺ قال: ((**كان رسول الله ﷺ متواصِلَ الأحزان، دائم الفِكْرَة، ليست له راحة، طويلَ السَّكْتِ، لا يَتَكَلَّمُ في غيرِ حاجةٍ**)). **السَّكت**: مصدر كالسُّكُوتِ، والسُّكاتِ؛ كلها مصادر لسَكَتَ.

لكن ذكر ابن القيم في: [**مدارج السَّالكين**] في منزلة الحُزْن -وقد عدَّها الهَرَوِيُّ من منازِل السَّائرين- ذكر ابن القيم أنها ليست من المنازل المطلوبة، ولا المأمور بنزولها؛ وإن كان لا بُدَّ للسَّالك من نزولها. قال: "ولم يأتِ الحُزْن في القرآن إلا منهيًا عنه أو منفيًا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران:١٣٩]. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر:٨٨]. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]. فما جاء الحزن في القرآن إلا منهيًا عنه أو منفيًا؛ وذلك أن الحزن لا مصلحة للقلب فيه، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه إلى ربِّه.

قال ابن القيم: وأما حديث هند بن أبي هالة ﷺ في صفة النّبي ﷺ أنه كان متواصل الأحزان؛ فحديثٌ لا يثبت، وفي إسناده من لا يُعرَف. وكيف يكون متواصل الأحزان، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا، أسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر، فمن أين يأتيه الحزن؟! بل كان دائم البِشْرِ ضحوك السِّنّ".

---

(١) من حديث أبي هريرة ﷺ، البخاري: (٦٤٧٥)، مسلم: (٤٧).

وفي أرجوزة: [**دليلُ باغي الحَقِّ لِعِلْمِ بعضِ خَلْقِ خَيرِ الخَلْق** ﷺ] للشيخ: سَيْلُوم –حفظه الله– قال:

وما مِنْ الحُزْنِ حَكَى الهُمامُ * هنـدُ؛ التَّيَقُّـضُ والاهْتِمـامُ
لا الألَمُ المعروفُ إن يَحصُل مُنى * في الطَّبعِ للْمَرْءِ أو انْ تَفُتْ مُنَى
وحُـزْنُه أَنْكَـرَهُ ابنُ القَيِّمِ * مع الاحْتِجـاجِ بالدَّليلِ القيِّـمِ
وقالَ في سَنَدِ ذلك الخَبَرِ * مَجْهولٌ أيضًا فهو بالرَّدِّ حَرِي
فالله عمَّـا يُـورِثُ الأحْـزَانَا * صَـانَ نَبيَّـه بِمَـا قَـدْ زَانَـا
كَرَّمَـهُ كَمَا لـهُ قَدْ غَفَرَا * مـا قَـدْ تَقَدَّما ومـا تأخَّـرا
والله قد نَهَـاهُ عن حُـزْنٍ علـى * من كفـروا باللهِ جَـلَّ وعـلا
والحزن منه قد تَعَـوَّذَ الرَّسُـولْ * واللهُ قد حَبَى الرَّسُولَ كُلَّ سُولْ

عَقَدَ بهذا كلام ابن القيم، وهي أرجوزة في الشَّمائل من **أربعة أبيات وخمسمائة**، ومطبوعة مع شرحٍ لها، وطُبعت مفردة؛ اعتنى بها الشيخ: عَلاء يوسف –حفظه الله–.

والسبب في الكلام على مسألة الحزن هنا؛ أنّ الشيخ زرُّوق ما ذكر مسألة الحزن، قال: "طويل سكوت" لكن بعض شُرَّاح الشمائل يجعل طول سكوته ﷺ من لوازم تواصل أحزانه؛ لذا تجد بعضهم يشرح طول الصمت وتواصل الأحزان؛ بمعنى الشَّفَقَة على الأمة مثلًا: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ [الأنبياء:٩٠]. فيقول: هذا يرجع إلى الرَّهَب. فيكون من الشفقة على الأمة، أو الاشتغال بجلال الله؛ فيُفسِّره بغير الحزن الذي نُهيَ عنه.

سالم صدره: أي من كل خُلُقٍ مذموم. جاء عن عليّ ﷺ كما في الشمائل أنه قال: ((**قد وسِعَ الناس بَسْطُهُ وخُلُقُه فصار لهم أبًا**)). وما بعد شهادة الله شهادة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

دقيق مسربة: المَسْرُبَة؛ خيط الشعر الذي يكون من اللَّبَّة إلى السُّرَّة. **واللبّة**: هي النُّقرة التي فوق الصدر. جاء هذا في حديث هند بن أبي هالة ﷺ قال: ((**دقيق المَسْرُبَة**)). وفي حديث عليّ ﷺ قال: ((**طويل المسربة**)). وكلاهما عند الترمذي في الشمائل.

***هنا مسألة**: تقول: "عن هِنْدِ بن أبي هالة" بالكسر فهو مصروف؛ لأنه رجل. وهند الذي هو اسم امرأة فيه الوجهان. وهند هو رَبِيبُ الرَّسول ﷺ. وأمه خديجة بن خويلد -رضي الله عنها- لأنها تزوجت قبل رسول الله ﷺ رجلين؛ أولهما: عَتِيق بن عائذ المخزومي، فولدت له بنتًا يُقال لها هند. ثم تزوجت رجلًا يقال له: هند بن زُرارة التميمي، وولدت له ذكرين: هند وهالة -كلاهما رجل- وكان هندٌ هذا وصَّافًا خبيرًا بوصف النَّاس. سأله الحسن ﷺ قال: ((**سألت خالي هند بن أبي هالة ﷺ -وكان وصَّافًا- عن حِلْيَةِ النَّبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به، فقال: "كان رسول الله ﷺ...**)) فذكر الوصف الطويل الذي تفرَّقت جُمَلُه في هذه المنظومة.

وقد جاء في حديث هند بن أبي هالة -بعد قوله: "دقيق المسربة"- جاء بعده بجُمَل ما يُفسِر هذه العبارة، قال: ((**موصول ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشعر يَجْرِي كالخطِّ**)). وهذا هو معنى دقيق المسربة، والحديث يُفسَّر بالحديث.

أقنى: القنى؛ طول الأنف، ودقَّة أَرْنَبَته، مع حَدَبٍ في وسطه. وقد مرَّ هذا أنه جاء في حديث هند بن أبي هالة ﷺ: ((**أقنى العِرْنين، له نورٌ يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشَمّ**)).

وجيه: أي عظيم الجاه عند الله تعالى. **والجاه**؛ القَدْرُ والمَنْزِلَةُ. وشواهد عظمة قدر نبيِّنا ﷺ كثيرة، يكفي في الدلالة على عِظَمِ جاهه ﷺ **شفاعته الكبرى إذا ماجَ الناس يوم القيامة في ذلك الموقف الهائل، حين يأتي الناس آدم عليه السلام فيقولون له: اشفع لذريَّتك. فيقول: لست لها. فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقول: لست لها. فيأتون موسى عليه السلام، فيقول: لست لها. فيأتون عيسى عليه السلام، فيقول: لست لها. فيأتون نبيِّنا ﷺ فأقول: أنا لها. فأنطلق فأستأذن على ربِّي. فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليه الآن، يُلْهِمُنِيهِ، ثم أخرُّ له ساجدًا. فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقُل يُسْمَع، وسَلْ تُعْطَه، واشْفَع تُشَفَّع. فأقول: ربِّ أُمَّتي أُمَّتي. فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبَّةٍ من بُرَّة، أو قال: شعيرةٍ من إيمان، فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل**..الحديث[١].

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك ﷺ، البخاري: (٧٥١٠)، مسلم: (١٩٣).

وقد قال القاضي عياض في كتابه: [**الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**] -وقد عقد بابًا فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره ﷺ عند ربِّه، ومنزلته، وما خصَّه الله به في الدارين من كرامته ﷺ- قال: "لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيِّد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله، وأقربهم زُلفى..". قال: "واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها، ومنتشرها، وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلًا". ثم ذكر اثني عشر فصلًا في تحقيق هذا المعنى، في قرابة تسعين صفحة، كلها في تحقيق عظيم جاهه عند الله تعالى.

مُرجَّب: أي مُعظم عند الله، وعند الناس. في حديث هند بن أبي هالة ﷺ: ((**كان رسول الله ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا**)). **فخمًا**: عظيمًا في نفسه. **مُفخَّمًا**: مُعظَّمًا في العيون والقلوب عند كل من رآه.

١٤- وقد وَسِعَ الأَقْوامَ حِلْمًا وَبَسْطَةً * وصاروا سَواءً فيهِ وهْوَ لَهُمْ أَبُ

وقد وسع الأقوام: أي عَمَّهم وشملهم أجمعين. حلمًا وبسطة: فهو ﷺ رحمة للعالمين. **وحلمًا**: تمييز نِسْبَة مُحَوَّل عن فاعل؛ أي وسع الأقوام حلمُه وبَسْطُه. **والبَسْط**: المقصود به الانبساط، وطلاقة الوجه، أو هو الجود والكرم. وسعهم حلمه وبسطه أي انبساطه وطلاقة وجهه، أو جوده وكرمه.

وصاروا سواءً فيه: أي في مُراعاة حقِّهم؛ بحُسن خلقه ﷺ معهم، فهم مستوون عنده.

وهو لهم أبُ: هو لهم بمنزلة الأب في الشَّفَقَة عليهم. وقد قُرِئ في غير المُتواتر: ((النَّبِيُّ أَوْلَى بالمؤمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِم وهو أَبٌ لَهُم)) [الأحزاب:٦]. قرأ بهذا أُبَيُّ بن كعب، وابن عباس ﷺ. وقال ﷺ: ((**إنما أنا لكم بمنزلةِ الوالدِ أُعَلِّمُكُم**)) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد عقد الناظم بهذا ما ورد عن عليّ ﷺ في الشمائل أنه قال: ((**قد وَسِعَ الناس بَسْطُه وخُلُقه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده في الحقِّ سواءً**)).

١٥- مَهِيبٌ إذا لاقَيْتَه عن بَدِيهَةٍ * وإمَّا تُخالِطْهُ فَخُلْقٌ مُحَبَّبُ

مهيب: أي يهابه غيره ويخافه مخافة العَظَمَة. إذا لاقيته عن بديهة: عن بَغْتَةٍ ومفاجأة؛ أي في أول رؤية. وإمَّا تخالطه فخلقٌ محبَّب: وإمَّا: بعد (إنْ)؛ (مَا) زائدة. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال:٥٨]. **ما** هنا صِلَة؛ فهي زائدةٌ إعرابًا، مؤكِّدةٌ معنًى.

عقد بهذا قول عليّ ﷺ: ((**من رآه بديهةً هَابَه، ومن خالطه معرفةً أحبَّه**)) أخرجه الترمذي في الشمائل. والمعنى: من رآه أوَّل رؤيةٍ من غير معرفةٍ سابقة؛ هابَهُ أي خافه مخافة عظمة. ومن صاحبه وعاشره وخالطه مخالطة معرفة تبيَّن بها كمال خُلُقِه؛ أحبَّه إلى الغاية، حتى يصير أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين.

ومما ورد في هيْبَتِه ﷺ حديث ابن مسعود ﷺ عند ابن ماجه(١) أنه قال: ((**أتى النَّبي ﷺ رجلٌ فكلَّمه فجعل تُرْعَدُ فَرائِصُه. فقال له النَّبي ﷺ: "هَوِّن عليك؛ فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القَدِيد"**)). **ترعد**: تضطرب. **والفرائص**: جمع فَرِيصَة، وهي لحمة بين الجَنْب والكَتِف. **والقديد**: هو اللحم المُجَفَّف في الشمس.

١٦-أشدُّ من العَذْرَا حَياءً بِخِدْرِها * كَريمُ السَّجَايَا للرَّدِي مُتَجَنِّبُ

العذراء: هي البِكْر. وخدرها: سِتْرٌ يُجعل لها في جانب البيت. في الصحيحين(٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: ((**كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرِها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه**)).

السَّجايا: جمع سَجِيَّة، وهي الخُلُق. فهو ﷺ كريم الأخلاق، متجنِّبٌ للأخلاق الرَّديئة. يكفيه

(١) برقم: (٣٣١٢).

(٢) البخاري: (٦١٠٢)، مسلم: (٢٣٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وعند الإمام أحمد في المسند[١] من حديث أبي هريرة ﷺأن النَّبي ﷺ قال: ((**إنما بُعِثت لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاق**)). ولما سُئلت عائشة عن خُلُقه كما في مسند الإمام أحمد[٢] قالت: ((**كان خُلُقُه القرآن**)). بمعنى أنه ﷺ كان يتأدَّب بآدابه، ويتَّصِف بكل صفة حميدة مذكورة في القرآن، ويتجنَّب كل صفة ذميمة مذكورة فيه. كما قال الشاطبي في وصف القُرَّاء:

أُلُوا البِرِّ والإحسانِ والصَّبرِ والتُّقى * حُلاهُمْ بِها جاءَ القُرانُ مُفَصَّلا

عليكَ بها ما عِشْتَ فيها مُنَافِسَا * وبِعْ نَفْسَكَ الدُّنيا بأنْفاسِها العُلا

١٧-يَزُولُ تَقَلُّعًا ويَخْطُو تَكَفُّؤًا * ويَمْشِي الهُوَيْنَى دَائِمُ البِشْرِ طَيِّبُ

يزول تقلُّعا: بمعنى أنه إذا رفع رجله عن الأرض؛ رفعها رفعًا بائنًا بقوَّة، لا يرفعها رفع المُتَماوِت المُتثاقِل، أو رفع المُخْتال، وإنما يرفعها رفع الرَّجُل القويّ الشديد. في حديث هند بن أبي هالة ﷺ في الشمائل: ((**إذا زال؛ زال قَلْعا**)). رُوي (قَلْعًا) بفتح القاف وسكون اللَّام، وهو مصدر، ويكون منصوبًا على أنه مفعول مطلق، أي زال زوال قَلْعٍ. ورُوي بفتح القاف وكسر اللَّام (قَلِعًا)، ويكون إعرابه حالًا، أي زال حال كونه قَلِعًا، فهي حالٌ منصوبة.

تكفُّؤًا: التَّكفُّؤ هو التَّمايل إلى قُدَّام في المشي. أي إلى قَصْد مِشْيَتِه؛ كالسَّفينة في جريها. في صحيح مسلم عن أنس ﷺ في وصف النّبي ﷺ قال: ((**إذا مشى تَكَفَّأَ**)). وعند الترمذي في الشمائل عن عليّ ﷺ أنه قال: ((**إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤًا كأنما يَنْحَطُّ من صَبَبٍ**)). و(مِنْ) هنا بمعنى: (في) فالمعنى؛ كأنما ينزل في موضع مُنحَدِر. الصَّبَب: فُسِّر بما انْحَدَر من الأرض. وفي حديث الطَّواف: ((**حتى إذا**

(١) برقم: (٨٩٥٢).
(٢) برقم: (٢٥٨١٣).

انْصَبَّت قدماه في بطنِ الوادي سعى))[١]. يعني حتى إذا انْحَدَرَتْ قدماه في المَسْعى. هذا ذكره في: **[جمع الوسائل في شرح الشمائل]** قال: "(مِنْ) بمعنى (في) كما في نُسخة".

ويمشي الهوينى: يعني يمشي مشيًا فيه رِفْقٌ وتُؤَدَة، لا يضرب بنَعْله، ولا يخفق بنعله كما يفعل أهل الكِبْر. في حديث هند بن أبي هالة ﷺ في الشمائل: **((ويمشي هَوْنًا))**. هو ﷺ يزول قلعًا ويخطو تكفُّؤًا؛ لكنه أيضًا يمشي هونًا فسرعته ﷺ كانت برفقٍ وتثبُّت، دون عجلةٍ وهَوَجٍ وإخلالٍ بالوقار. وقد قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾ [الفرقان:٦٣].مدح الذين يمشون كذلك.

دائم البشر: البشر؛ طلاقة الوجه. في الشمائل عن عليّ ﷺ أنه قال: **((كان رسول الله ﷺ دائم البِشْر طيِّب))**. يعني حيًّا وميْتًا. وفي البخاري[٢] في حديث عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت لما قبّل أبو بكر الصديق ﷺ النّبي ﷺ بعد موته، قالت: **((فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله، قال: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حيًّا وميِّتا، والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله المَوْتَتَيْنِ أبدا))**. وعند ابن ماجه[٣] عن سعيد بن المُسيب عن عليّ ﷺأنه قال –لما غَسَلَ النّبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يُلتمس من الميِّت فلم يجده– فقال: **((بأبي الطَّيِّب طِبْتَ حَيًّا وطِبْتَ مَيْتًا))**.

١٨–فَدُونَكَ مِنْ أَوْصافِهِ الغُرِّ جُمْلَةً * تَضَمَّنَها نَظْمِي بِهَا الدَّهْرَ يَعْذُبُ

فدونك: اسم فعل أمر بمعنى خُذْ. من أوصافه الغرِّ: أي لِحُسْنِها، وغُرَّة كل شيءٍ؛ أكرمُه.

جملة: أي مِقْدارًا مجموعًا. بها الدهر: بها: أي بهذه الأوصاف. الدَّهر: أي طول الدهر يعذب. فنظمُه يَعذُبُ ويَطِيبُ؛ بسبب تضمنه لهذه الأوصاف.

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله ﷺ: (١٢١٨).
(٢) برقم: (٣٦٦٧).
(٣) برقم: (١٤٦٧).

١٩-أَأَحْمَدُ هذا أحمدٌ مُتوسِّلًا * بِمَدْحِكَ والأجْوادُ بالمَدْحِ تُطْلَبُ

أأحمد: الهمزة للنِّداء، وأحمد من أسماء النَّبي ﷺ وورد هذا الاسم في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

هذا أحمدٌ: صرفه للضَّرورة. متوسِّلًا بمدحك: ومدحه ﷺ والثناء عليه، وذكر أوصافه التي ذكرها الصحابة ﷺ، وذكر شمائله التي نقلوها لنا؛ عملٌ صالح. والأجواد: جمع جوادٍ وهو السَّخيّ.

٢٠-مَدَحْتُكَ يا خَيْرَ الأنامِ ولَمْ تكنْ * لِمَدْحِي فقيرًا بل أنا المُتَكَسِّبُ

ولم تكن لمدحي فقيرًا: لم تكن محتاجًا إلى مدحي؛ لأنه ما بعدَ ثناءِ الله ثناء، فقد أثنى عليه ربُّه. قال لسان الدِّين ابن الخطيب:

أَيَرُومُ مخلوقٌ ثَناءَكَ بَعْدَمَا * أَثْنَى عَلَى أَخْلاقِكَ الخلَّاقُ

بل أنا المتكسِّب: نفع الثناء عليه، وذكر شمائله وصفاته ﷺ يعود على المُثْني؛ فالمُثْني على النَّبي ﷺ بما أثنى عليه ربُّه، وبما أخبر به عنه أصحابه هو المُنْتَفِع بهذا الثناء.

٢١-لَئِنْ كنتُ ممَّن يُحسِنُ المَدْحَ ثمَّ لمْ * أَقُلْهُ -وَفِيكَ- إنَّني لمُخَيَّبُ

وفيك: والحال أنَّ هذا المدح فيك. إنني لمخيَّب: يقال خاب؛ إذا لم يظفر بمطلوبه.

٢٢-فمدحُكَ بالنَّظْمِ المُجَوَّدِ حَوْكُهُ * زَكاةٌ على أهلَ القصائدِ تُوجَبُ

المجوَّد حوكه: أي المُزَيَّن نَسْجُه.

٢٣-عليكَ صلاةُ اللهِ ثمَّ سلامُهُ * وآلِكَ والأصحابِ ما ذَرَّ كَوْكَبُ

ذَرَّ: طَلَع. أي مدَّة دوام طلوع الكواكب، فهي صلاة دائمة مدَّة دوام الدنيا، والسَّلام كذلك.

٢٤-عليكَ من المَوْلى المُهيْمِنِ رَبِّنا * سَلامانِ ما ناحَ الحَمامُ المُطَرِّبُ

سلامان: الصَّلاة والسَّلام. المُطرِّب: يقال طَرَّبَ في صوته؛ إذا رجَّعه ومدَّه. وهذان البيتان الأخيران أدخلهما بعض من شرح القصيدة فيها، وفي: [**دليل الرِّفاق على شمس الاتِّفاق**] للشَّيخ: ماء العينين. -وهو نظمٌ للمسائل الفقهيَّة المُتَّفق عليها، وقد توفي الشيخ سنة: ١٣٢٨هـ. وهذا الكتاب شرحٌ لنظمه- ذكر قصيدة الشيخ زرُّوق في أوَّلِ كتابه دون البيتين الأخيرين، ثم قال: وذيَّلها مولود ابن المختار بهذا البيت: عليك صلاة الله ثم سلامه...ولم يذكر البيت الأخير.

وفي الختام: محبَّة النَّبي ﷺ من أوجب الواجبات، وعلى العبد في هذا المقام أن يسلك سبيل أهل الاعتدال، وأن يحذر من أن يدخله الخلل من جهتين:

الأولى: الإفراط؛ ومن مظاهره: الغلوُّ والإطراء بمجاوزة الحدِّ المشروع في المدح، وكذلك من مظاهره إضافة أوصاف الرُّبوبيَّة إليه ﷺ، وهذا ما لا يرضاه النَّبي ﷺ، كما في البخاري[١] من قول النَّبي ﷺ: ((**لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدُاللهِ ورسولُه**)).

والجهة الثانية: التفريط؛ ومن مظاهرها: ضعف محبَّته ﷺ، وعدم تعظيم سُنَّته، وترك تعلُّم سيرته. ومن مظاهرها: انتقاص أصحابه ﷺ، والإقبال على البِدَع. ومن مظاهرها: عدم الصلاة عليه إذا ذُكِر ﷺ.

والمقصود أنّ هذه المحبَّة ينبغي أن يكون وراءها عملٌ جادٌّ في معرفة هديه ﷺ وآدابه، وأخلاقه؛ ليحصل التأسِّي به ﷺ فيها.

هذا آخره والله تعالى أعلم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) برقم: (٣٣٤٥).

فهرس الأبيات

* رابط الشرح الصوتي.
* منشورات همع.

همع: https://t.me/Ham3on

(العلم للروح كالغيث للأرض)

١٢/٧/١٤٤٣هـ